تقرير

عن بعثة معهد فؤاد الاول للصحراء الى شمال سينا

(١٥ اغسطس — ٩ سبتمبر ١٩٥١)

للدكتور محمد السيد غلاب

نظم معهد فؤاد الاول للصحراء بعثة لدراسة شمال سينا ؛ حشد فيها نخبة من رجال العلم بالجامعات المصرية والمصالح والوزارات التى يعنيها أمر تعمير سينا ؛ والواقع أن الغرض من البعثة كان أكاديميا بحتا ، ومن رأينا أن الروح العلمية الاكاديمية البحتة هى خير ممهد للوصول الى أى غرض عمرانى أو نفعى فيما بعد .

كانت البعثة بقيادة سكرتير عام المعهد ، الاستاذ الدكتور محمد متولى أستاذ الجغرافيا بجامعة فؤاد الاول وكان يعاونه فى قيادة الرحلة المستر مرى مستشار مصلحة المساحة المصرية ، وكان أعضاء البعثة يشتملون على أربعة جيولوجيين ؛ وجغرافى طبيعى ، وثلاثة نباتيين ، وأستاذ فى علم الحيوان ؛ وأستاذ فى علم الاراضى (التربة) واخصائيين من وزارة الزراعة ، وأستاذ فى علم الحشرات (البعوض بصفة خاصة) وجغرافى بشرى وقد لحق بهم فيما بعد اخصائى فى الهدروليكا وهو أستاذ ومهندس من السويد ؛ هذا غير المساعدين فى علم الحيوان وعلم الحشرات ومصور .

وكانت نقط البحث تشمل بحثا جيولوجيا تفصيلا لبعض مناطق شمال سينا ، وهى المناطق المحيطة ببئر الحسنة ، وجبل الحلال . وبحث امكانيات المياه الباطنة ودراسة الكثبان الرملية ووسائل تثبيتها ؛ وبحث طبيعة الاراضى وأنواع التربة وتوزيعها على خريطة ودراسة نباتات المنطقة من ناحية التصنيف لاتمام كتاب « نبات مصر » الذى يقوم بوضعه عضوان

فى البعثة ؛ وهما استاذه فى النبات بجامعة القاهرة وأخصائى من وزارة الزراعة ؛ ودراسة النبات من ناحية علاقته بالتربة ، وطرق استصلاح الاراضى الجافة واستثمارها . وجمع أنواع الزواحف والثدييات الصحراوية لتكملة مجموعة تحف المعهد . وتحليل مياه الآبار والينابيع لمعرفة مقدار صلاحيتها للرى . وعلاقة ذلك بانتشار الامراض التى تنقلها الحشرات ولا سيما الملاريا . وأخيرا دراسة أنواع النشاط البشرى ومقدار تلاؤم الانسان مع البيئة ؛ والعلاقات بين البدو والحضر ، وتوزيع القبائل البدوية ودراسة عاداتها وتقاليدها ودراسة مشاكل الجغرافية الاجتماعية فى العريش وما حولها .

هذه الدراسات الطبيعية والبشرية يكمل بعضها بعضا ، ويتصل بعضها بالبعض الآخر ، بل ويتداخل بعضها فى البعض ؛ ولعل المعهد الذى يجمع شتات الدراسات المتصلة بالصحراء ، قد قصد الى جمع هذا العدد من رجال العلم فى مختلف الفروع فى صعيد واحد ، لدراسة منطقة واحدة ؛ من وجهات نظر متنوعة ، لكى يستعين كل بكل ؛ ويطلع على وجهة نظره وعلى أسلوب بحثه ، ولكى يقف كل على مايكمل دراسته مما يقوم به فرع آخر من العلوم . ولذلك فان هذه التجربة تعتبر فى نظرنا ناجحة بالرغم من أنها الاولى من نوعها فى مصر ، وبالرغم من نشوء بعض عقبات أو تصادم رغبات بعض الاعضاء مع البعض الآخر — الامر الذى لامندوحة منه فى مثل هذه البعثات فبالرغم من كل شىء فاننا نشعر أن الاعضاء جميعا كانوا مرتاحين فى هذا المجتمع العلمى الصغير الذى جمعهم فترة من الزمن . ونأمل أن يظهر أثر ذلك فى الابحاث التى ستنشر عن نتائج أبحاثهم المختلفة .

بدأت البعثة من ميدان الاوبرا فى القاهرة ، اذ اجتمع الاعضاء فى الصباح الباكر يوم ١٥ ٨ ٥١ واستقلوا السيارات (وكان عددها ست) فى تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا ميممين نحو الاسماعيلية حيث وصلوها الساعة التاسعة والنصف ؛ وفى تمام الحادية عشرة بدأوا المرحلة الثانية من الرحلة من الضفة الشرقية لقناة السويس ، فى طريق مرصوف

يبلغ طوله ٢٥٠ كيلو مترا ، متجهـا نحو الشمال الشرقى ، فى سهل ممـوج يرتفع وينخفض ، تغطيـه الاحراش القصيرة المتنـاثرة ولا يكاد يسكنـه انسان ، ثم ارتفع الطريق فوق هضبة مترامية الاطراف ثم أخذ يتجه تدريجيا الى السهـل الشمالى ، الذى تقطعه الغرود والكثبان التى تتجه بصفة عامة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، ثم قطع انتظام السهل جبل المغارة فى الشمال ، ثم جبل لبنى ، والجبل الاول يشغل منطقـة أوسـع ، وأكبر ارتفاعا من الثـانى • بعد جبـل لبنى (عنـد الكيـلو ١٠٠ من العريش تقريبـا) وصلنا الى أول نقطة من نقط الحـدود ؛ التى تدل على وجود العمران ، وهى نقطـة أبو عويقيله وهى تقع على الضفـة اليمنى لوادى العريش على بعد ٤٥ كيلو مترا من العريش ، وشاهدنا أول آثار التخريب التى أحدثها الجيش اليهودى داخل الحـدود المصرية فى الحرب الاخيرة وهى نسف كوبرى مقام على هذا الوادى ، ونسف مقر النقطة القديمة • كما شـاهدنا حطام دبابة صهيونية كانت قـد اجترأت على تدنيس أرض هذا الوطن •

ابتداء من عويقيله تبـدأ معسكرات الجيش المصرى ونقط المراقبـة حتى تشرف على العريش نفسها التى كانت تحرسها مقابر الشهداء على يمين الداخل الى الطريق المؤدى اليها مباشرة ؛ ويحمى العريش جسر يمتد من الشمال الى الجنوب عند مصبى وادى العريش ، الذى يفيض فترة محدودة فى الشتاء عقب سقوط الامطار •

وصلنا العريش فى تمام الرابعة والنصف مساء ، وكانت هـذه المدينة ـ عاصمة محافظة سينا ـ مقر البعثة الذى تبدأ منها نشاطها وتأوى اليها مع المساء •

فى صباح يوم ١٦/٨/٥١ اتجه الاعضاء الى الساحل الشمالى نحو رفح ثم عبر الحدود المصرية الى مدينة غزه ، مارين بخان يونس ، وقد ظهر لنا

الفرق الشاسع بين شمال سينا وجنوب فلسطين من ناحية استثمار الارض، فمنذ أن نخطو وراء الحدود الفلسطينية يتغير المنظر العام ، من صحراء مجدبة ومراعى متناثرة الى حدائق مسورة تروى بماكينات المياه الجوفية وتؤتى ثمرها من أنواع الفواكه والموالح المختلفة حدائق يتلو بعضها بعضا، بينها حقول الشعير والقمح حتى نصل الى غزة . ولعل فى هذه الجولة الاستكشافية ، ما يثير فى الاعضاء الرغبة الصادقة فى تحويل شمال سينا الى مايشبه جنوب فلسطين . حقا هناك ظرف مناخى يجعل المقارنة غير كاملة ، وهى أن غزة تقع شمال خط ١٠٠ مم من المطر فى العام ، الا أن هذه الكمية لاتكفى قط لرى البساتين التى تعتمد على المياه الباطنية ، وما نظن أن الماء الباطنى ينقص الساحل الشمالى لسينا ، أوأنه يقل جودة عن مياه جنوب فلسطين الباطنية .

منذ اليوم الثالث بدأ كل فريق يعمل فى نطاق بحثه الخاص ، على أن السيارات انقسمت الى قسمين ، كل اثنتين مع مجموعة من البعثة ، واحدة بدأت بدراسة الساحل الشمالى دراسة منظمة ، بحيث تقسمه الى أجزاء ، تقطع فى كل يوم جزءا بعينه . ومجموعة أخرى كانت تعمل فى القطاع الجنوبى .

الا أن الافراد جميعا اشتركوا فى زيارة معالم العمران فى شمال سينا ، وتشمل مشروع سد الروافعة ، ومنطقة وادى الضيقه ويزمع اقامة سد عنده يغزى السد الاول . ومزارع وزارة الزراعة عند الروافعة وفى رفح ومزارع الاهلين الاخرى وهى ملكية مبعثرة . ويحسن أن نشير الى هذه المعالم بشىء من التفصيل .

سد الروافعة :

كان الاتراك أول من فكر فى اقامة هذا السد على وادى العريش ، فى نقطة تبعد ٤٥ كيلو مترا من مصبه ، وذلك أثناء حملتهم المشهورة فى الحرب العالمية الاولى ، ويبلغ طول السد ٥٠ مترا على قاعدة من الحجر الجيرى

ويبلغ عمق الماء فى قاعه ٣ أمتـــار ويمكن تخزين ٤ مليون متر مكعب من الماء فيه ؛ وقد بدىء فى انشائه سنة ١٩٤٧ وهو يمتلىء بالماء بعد كل سيل ، (آخر سيل كان فى مارس سنة ١٩٥١) وقد تدر حدوث فيضان كبير مرة كل سبع سنوات وعندئذ يمتلىء بالماء أمام السد حتى حافته ويمكن خزن ٢٤ مليون مترا مكعبا من الماء .

الا أن السيل يجرف أمامه كمية هائلة من الطين والطمى مما قلل كمية الماء المخزون أمامه من ٥ مليون مترا مكعبا الى ٣ مليون مترا مكعبا ولذلك فانه يخشى أن يأتى اليوم الذى يمتلىء فيه السد بالطين والطمى وتنعدم فائدته مالم يطهر الطمى من أمامه باستمرار .

يخرج من أمام السد ترعتان لرى ٣٠٠ فدان ريا دائما من الجانبين ، ولما كان مستوى الارض أعلى من مستوى الماء المخزون فى السد (وعمقه لايزيد على ٣ أمتـــار) فان الامر يتطلب رفع الماء الى الترعتين بواسطـــة المضخات .

مشروع سد الضيقة :

يقع وادى الضيقة ــ وهو جزء من وادى العريش ــ جنوب الروافعه بمقدار ٢٥ كيلو مترا تقريبا وهو وادى أخدودى بين جبلى ضلفع والحلال من الشرق والغرب على التـــوالى . ويبلغ عرض الوادى ٥٠ مترا تقريبـــا ويرتفع الجبـــلان حوالى ٣٠٠ مترا على الجانبين ويغطى الوادى طبقـــات سمكه من الطين والطمى (بلغ عمق الطين ٣٥ مترا فى احـــدى الحفر دون أن يبلغ اليه مستوى الرمل أو الصخر الجيرى) .

مشروع سد الضيقة يبلغ ارتفاعه ٢٠ مترا ويمتلىء بالمـــاء أمامه حتى خط كنتور ١٨٠ مترا وستكون مقدرته على الخزن حتى طاقة ١٦٠ مليـــون مترا وفى هذه الحالة يستعمل سد الروافعة كمنظم للخزان الاول .

والمأمول أن يستطيع هذا المشروع رى نصف مليون فدان من التربة الرملية التى لاينقصها غير الماء لكى تجود بأجود المحاصيل .

زيارة بعض الحدائق والمزارع :

قام أفراد البعثة مجتمعين بزيارة بعض المزارع والحدائق فى منطقة العريش . والاستغلال الزراعى فى هذه المنطقة يختلف فى طبيعته ووسائله عنه فى وادى النيل فليس هناك مساحات واسعة متصلة قابلة للاستغلال كما هى الحال فى وادى النيل ، انما الوحدة الزراعية هنا هى البقعة الصغيرة التى تتراوح مساحتها من بضعة قراريط الى عشراتها وقد لاترقى الى الافدنة وذلك طبقا لنوع التربة ولتوفر الماء الباطنى (الآبار) ونستطيع أن نقول أن التربة الرملية المختلطة بالرواسب السيلية هى السائدة فى معظم شمال سينا ، ويمكن أن تعتبر جيدة اذا توفر ماء الرى ، والماء هنا مستخرج من الآبار . ويختلف العمق الذى لابد أن تحفر اليه الآبار للوصول الى ماء « الفجرة » أى مستوى الماء الباطنى وهو يختلف عن المستوى السطحى الذى تتسرب اليه أمطار المطر . وهذا المستوى يتراوح بين ٢٠ متر و ١٥ متر على الساحل .

والمحاصيل كلها من التى تتحمل الجفاف ، وهى من الاشجار التى تزرع مرة وتمسك فى الارض سنوات تغل ثمرتها ؛ وتجود فى العريش اشجار الزيتون وأشجار الفاكهة مثل التفاح والكمثرى .

وتقدر القطعة التى يمكن أن تستغل فى جرف وادى العريش التى يصل عمق الماء الباطنى فيها ١٥ مترا . بحوالى ربع مليون فدان . لم يستغل منها فى الوقت الحاضر سوى خمسين فدانا . ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، ولكن المسألة هى الى أى حد يمكن الاكثار من حفر الآبار دون أن يؤثر ذلك فى مستوى الماء الباطنى ؟ فهذه نقطة تحتاج الى بحث وعلى ضوئها يمكن تقدير المساحة التى يمكن أن تستغل من جرف وادى العريش .

وقد زرنا أيضا بعض المزارع النموذجية لوزارة الزراعة فى هذه المنطقة، وهى جميعا تدل على أن أشجار الزيتون والكروم والتين والكمثرى والتفاح والفول السودانى تجود فى هذه المنطقة ولا أمل طبعا فى المحاصيل

السنوية . وتمد هذه المزارع النموذجيـة المزارعين من الاهالى بالاشجار التى تستعمل لحماية المزارع من الرياح والتى تسـاعد على كثرة الظل فى المزرعة كما تمدهم بالمعونة والارشاد الفنى .

القصيمة والحسنة :

زار أفراد البعثة على دفعتين كلا من القصيمة والحسنة ، وهما من نقط العمران القليلة فى قسم سيناء الوسطى . وكانت كل قافلة مكونة من ثلاث سيارات قامت من العريش فى الصباح الباكر وتزود أفرادها بما يلزمهم من غذاء وشراب وغطاء ؛ لمدة ثلاثة أيام ؛ أما الغذاء فكان من الانواع الجافة أو التى تحفظ فى علب . وأما الماء فقد ملانا الزمزميات وتزودنا بكمية كبيرة من البطيخ الذى يجود نوعه فى شمال سينا بصفة خاصة وقد أثبت أنه أفضل مايروى الغليل فى الصحراء وأضمن مايمكن أن يؤكل وبه كمية كبيرة من السـوائل . والطريق من العريش الى القصيمة تبلغ حوالى ٨٠ كيلو مترا منها ٤٠ أو أكثر فى طريق معبد ولكنه غير مفروش بالاسفلت وقـد كانت منـاظر الصخور جميلة رائعة متغيرة باستمرار جبـال ووديان وخوانق وكثبان رملية ومساحات تغطيها الصخور التى تنقلها السيول ومساحات من الحصى والحصباء ، وتلال جيرية وأخرى طباشيرية ، فكانت كأنها كتـاب من الجيومورفولجيا ـ مفتـوح عن فصـل التعرية فى البـلاد الجافة لمن يعرف قراءته . وكنا نتبع فى ذلك طريق الملاحظة المبـاشرة والتصوير من مواضع مختلفـة لاظهار ظواهر السطح المختلفـة ومعرفة ميل الطبقـات وتتابعها واتجاه الثنيات المحدبه والمقعره وامتدادها ، ولاسيما فى منطقـة الضيقة التى زرناها فيما بعد زيارة خاصة .

أما القصيمة فهى قرية صغيرة لايزيد عدد منازلها عن عشرين منزلا من ذات الطابق الواحد وبها مسجد صغير واستراحة حكومية كان قد بنـاها الاتراك أثناء حملة مصر المشهورة فى الحرب العالمية الاولى وأمامها حاميـة مصرية صغيرة ، وليس فى الاستراحة مايدل على اسمها ، فهى مجرد مبنى

حجرى جميل ولكنه خال من الاثاث تماما ، حتى من الكراسى الخشبية فيما عدا حجرة لضابط الحامية وما ذلك الا لأن البدو انتهزوا فرصة توغل اليهود من العوجه الى القصيمة ، وهى أول مركز على الحدود المصرية الى أبو عويقيله ، على أبواب العريش ، فهجموا على الاستراحات الحكومية كلها فى شمال سينا ، فى القصيمة وأبو عويقيله والحسنة ونهبوها نهبا تاما ، فهم فى الواقع لايشعرون بأى نوع من أنواع الشعور الوطنى ، ولايرتبطون بأى رابطة غير الرابطة القبلية ، فى حالة فقر مدقع لايجدون مايقيم أودهم خصوصا فى سنوات « المحل » التى يمرون بها الآن ، يحرثون بقع الارض المستوية أنى وجدوها فى الصحراء وينتظرون هبوط الامطار ، والا فلا محصول ولا غذاء ، الا ماشيتهم التى يقل عددها وتجف أثداؤها بمرور سنوات المحل ، ولم تعرهم الحكومة المصرية أى اهتمام ، ولذلك لاتعجب اذا لم يشعروا نحوها بأى عاطفة ، وظهر هذا جليا أثناء حرب فلسطين ، فقد كسبهم اليهود بينا خسرتهم مصر ، ولذلك فهم يكونون خطرا جاثما على أبواب مصر ينقلبون عليها أو يشتغلون بالجاسوسية لحساب اليهود فى وقت الخطر .

والقصيمة سوق للاعراب ، ومنهم قبيلة العزازية التى تعيش عبر الحدود الفلسطينية ، والذين يشتغلون بالجاسوسية الصهيونية ، أما الاهالى المستقرون فهم من أهل العريش هاجروا اليها منذ حوالى عشرين سنة عندما بدأ تنظيم الرى وتوزيع ماء عين الغديرات وزراعة واحتها التى تبلغ مساحتها ١٥٠ فدانا ، وعين الغديرات ، من العيون النادرة فى سينا ، تنبثق بالماء وسط تلين مرتفعين ، تكون بينهما سهل صغير منبطح اسمه وادى الغديرات ، وقد أمكن انشاء خزان صغير يشبه الحوض وتوزع الماء منه فى قنوات صغيرة من الاسمنت المسلح لايزيد عرضها عن ٣٠ سم وأمكن غرس أشجار الكافور والسرو والزيتون والليمون والرمان والعنب ، هذا عدا بعض المحاصيل السنوية مثل الذرة : والظاهرة الجديرة بالتسجيل أن أى أرض يمكن أن تزرع وهذه لايشترط فيها سوى خلوها من الصخور

والحصى والحصباء ، وأن تكون مستوية ، مملوكة للعرايشية فهم العنصر الفلاح والتجارى فى سينا . فهذه واحة لايزرعها أو يهتم بها البدو مطلقا ، بل يهبطون الى مائها ويحدقون فى قنواتها كانما شقت بيد ساحر ؛ ويزرع بعضهم الذرة ، ولكنهم يكتفون بعملية وضع البذور فى الارض ثم الحصاد ، وقد بدأت الحشائش الطفيلية تزاحم الذرة غذاءها ، ولكنهم لايكلفون خاطرهم بانتزاعها وحرث الارض وقد جرت تلك المناقشة بينى وبين أحد البدو

ـ لماذا لاتنظف الارض من الحشائش ؟

ـ لا أستطيع

ـ وهل يستطيع العرايشى ؟

ـ نعم هو يستطيع . أما نحن فلا !

هؤلاء هم البدو . يحتقرون الزراعة ، واذا اضطروا لشىء منها لايبذلون لها الا أقل عناية ممكنة ، فالبدوى دخيل على هذا الفن الراقى القديم ، ولكنه يستطيع أن يجوب الصحراء ليالى تتلوها ليالى ، بحثا عن ناقة شردت ، ويستطيع التعرف اليها بسهولة ، ويحفظ طرق الصحراء ودروبها كما يحفظ علامات كف يده . عنصر يجب أن تستفيد منه مصر ، وتضمه اليها ، وخصوصا وهناك عدو جاثم على أبوابها ؛ والوسيلة لذلك هى رفع مستواه ، ومده بالشعير والقمح فى سنوات « المحل » والعمل على رفع مستوى حيوان الرعى وتهيئة المراعى الصالحة بالطرق العلمية ؛ أى رفع مستوى البدوى اقتصاديا داخل حدود بيئته الطبيعية والاجتماعية ، بهذه الوسيلة تكسبه الى صف مصر ولا تخسره .

وقد لاحظنا أن رجال الجيش ينظرون بريبة وحذر نحوهم ، بالرغم من أنهم يستخدمون بعضهم فى أعمال المخابرات ، ولهم حق فى ذلك ، فقد خبروهم فى حرب فلسطين ، وهم فى الوقت نفسه لايعرفون عنهم أو عن

حقهم فى حماية مصر لهم الشىء الكثير ، أى أن مصر فى الواقع تطلب منهم أن يكونوا مواطنين صالحين وهم لايشعرون بأن مصر عملت لهم شيئا فى سبيل رفع مستواهم ، وهذه مسألة يجب أن تدرس بعناية .

والقصيمة أول نقطة مصرية على الحدود المصرية وهى على الطريق الذى يصل سينما بفلسطين ويمر بالعوجه ، ومثل هذا المركز الدفاعى الهام يجب تقويته عسكريا وتحصينه .

أما الحسنة . أو بير الحسنة فهى الى الجنوب الغربى من القصيمة ، والطريق اليها غير معبد ووعر والوصول اليها ليس سهلا ، وهى تقع عند بئر . المبرر الوحيد لوجود محلة فى الصحراء ، ولاتتكون مبانى هذه القرية الا من أربعة بيوت لعساكر الحدود واستراحة حكومية وبها بئر ترفع ماءه طاحونة هواء ويفيض بالماء ولا تجد من يستخدم هذا الماء !.

وقد بتنا ليلة واحدة فى الحسنة ، وكان بها بعض الاعضاء الجيولوجيين يقومون بمساحة جيولوجية لهذه المنطقة . وهناك حركة كبيرة من جانب وزارة الدفاع فى انشاء شبكة من الطرق المعبدة عبر صحراء شمال سينا لكل تشمل حركات الجيوش فيها ويقضى على اقتصار هذه الحركة فى طرق معينة قليلة ومعروفة بحيث اذا سيطر العدو عليها شلت حركة الجيش المدافع .

هذا مجمل لتنقلات البعثة فى شمال سينا .

طرق البحث والعمل :

ذكرنا أن أفراد البعثة كانوا موزعين على فروع مختلفة من العلم ، وكان الغرض من البعثة دراسة الاقليم من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية . وقد سار العمل على النحو الآتى :

١ ــ اهتم الجيولوجيون ببحث مناطق معينة . مثل منطقة ريسان عنيزه بالقرب من أولاد على ؛ على بعد ٤٥ كيلو متر تقريبا من العريش من الناحية

الجنوبية الغربية ، ومثل منطقة الحسنة ، وكان اهتمامهم برسم خرائط جيولوجية ودراسة الطبقات . أما الجغرافيا الطبيعية فكانت تهتم بظواهر السطح مثل الكثبان الرملية والقباب والالتواءات والوديان الجافة ومسطحات الحصاء والحصباء الى غير ذلك وكانت الطريقة هى استخدام خرائط ١ : ١٠٠٫٠٠٠ والبوصلة والمشاهدة ورسم الاشكال التخطيطية والتصوير الفوتوغرافى .

٢ ــ كان أحد الاعضاء مهتما بدراسة الكثبان الرملية والماء الباطنى ، وكان يأخذ عينات من رمال الكثبان لتحليلها ، وكان متصلا أيضا بهيئة الاغاثة التابعة للامم المتحدة التى كانت تتبع طريقة فيزيائية لتعرف الطبقات الحاملة للماء بقصد وضع مشروع لتعمير هذه الجهات واسكان اللاجئين الفلسطينيين فيها .

٣ ــ أستعين أيضا بمهندس سويدى فى مشكلة المياه الباطنية ، وكانت طريقته السياحة فى أرجاء الاقليم وأخذ معلومات عن عمق الماء الباطنى (الفجره) أو المستوى الذى يوجد فيه الماء ، من الزراع الذين قاموا بحفر آبار ، ثم أخذ عينات من مياه الآبار المختلفة لتحليلها ومعرفة كمية الاملاح الذائبة فيها ، وبهذه المناسبة نلفت النظر الى أبحاث مشابهة قام بها الاستاذ بليك G.S.Blake وجولد شميت ، وهما كانا من الجيولوجيين الرسميين لحكومة فلسطين أيام الانتداب البريطانى ، وقد قاما بمساحة دقيقة للماء الباطنى فى فلسطين ، وكانت طريقتهما تنقيب الارض Boring فى بقع مختلفة ودراسة الطبقات للوصول الى الطبقة الحاملة للماء وتعيين عمقها ، ثم تحليل الماء الباطنى لمعرفة درجة ملوحته ، ثم رسم خرائط كنتورية للاعماق التى توجد بها مستويات الماء الباطنى وقد تم نشر هذا البحث فى كتاب وأطلس خاص تقوم بتوزيعه ادارة مطبوعات الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٥ . ولذلك لا أعتقد أن البعثة ستصل الى ما وصلت اليه حكومة فلسطين فى مساحة الماء الباطنى لشمال سينا ، فهذا مجهود كبير يحتاج لوقت أطول مما قضته البعثة فى شمال سينا .

٤ ــ قام علماء التربة بمساحة منظمة دقيقة للساحل الشمالى ، من رفح الى العريش ، ثم لوادى العريش كله ؛ وهو وادى كبير يمتد من أواسط سينا حتى يصب شرقى العريش ، ثم لبقع مختلفة من شمال سينا • وكانت الطريقة هى الملاحظة الشخصية ومعرفة البيئة النباتية او بالتعبير الدقيق المجتمع النباتى الذى يعيش على التربة ، وأخذ عينات تربة من قطاع يحفر لهذا الغرض ورسم بروفيل للتربة فى هذه البقعة ؛ وكان الغرض من ذلك رسم خريطة تربة لهذا الجزء من سينا ثم تقدير قيمتها الاقتصادية فى استغلالها الزراعى • وسيتم تحليل عينات التربة فى معامل كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية •

٥ ــ كان علماء النبات يتبعون زملاءهم المشتغلين بالتربة فى تنقلاتهم ، فجابوا نفس الجهات وارتادوا ذات البقع وأخذوا عينات للنباتات الطبيعية وكان غرضهم تصنيف تلك النباتات وترتيبها فى عائلات وفصائل لاكمال البحث الخاص عن « نباتات مصر » الذى تصدره كلية العلوم بجامعة القاهرة •

٦ ــ قام مساعدان فى علم الحشرات وعلم الحيوان بارشاد أحد الاساتذة بجمع الحشرات وتحنيطها ؛ وتحنيط الحيوانات من أنواع الزواحف بصفة خاصة ــ التى كان يصطادها لهم البدو وستودع تلك المجموعات من الحشرات والزواحف والجرذان والخفافيش بمعهد الصحراء

٧ ــ قمت بأبحاث اثنيولوجية وكانت تشمل : ــ

أ ــ التعرف الى قبائل البدو المختلفة وتوزيعها الجغرافى فى شمال سينا وقد استعنت فى ذلك برجال البوليس من أهل العريش وبمشايخ العرب أنفسهم •

ب ــ دراسة عاداتهم ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة فيما يتعلق بالرعى والزراعة ونظام الأسرة وعلاقة الفرد بالقبيلة ، ونظام التقاضى

والدية وغيره . وكان ذلك عن طريق الاتصال الشخصى والقاء الاسئلة والاستماع الى شكاياتهم وقصصهم .

حـ ـ أخذ مقاييس انتروبولوجية للرأس والوجه والانف والقامة ، وتعيين لون البشرة والشعر والعين وذلك حسب بطاقات لون البشرة والشعر والعين المعترف بها والتى لاتدع مجالا للحكم الشخصى الذى يختلف من باحث الى آخر . وهذه البطاقات هامة جدا ونوصى باقتنائها فى قسم الجغرافيا . وقد استطعت جمع ١٠٠ قياس للبدو وأهل العريش وذلك بمساعدة أطباء المستشفى الاميرى وضباط صلاح الحدود ، فقد اتجهت أولا الى المستشفى لهذا الغرض ، ثم الى قسم سينا الشمالى وأخيرا الى سجن سينا الحربى .

ط ـ لاحظت أثناء اقامتى بالعريش علاقة الادارة بالبدو ، ونظام الحكم العرفى السائد . ولاحظت أن الجريمة الشائعة هنا هى التهريب ، تهريب البضائع الى فلسطين وتهريب المخدرات وخصوصا الحشيش الى مصر .

هـ ـ قمت بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسان عوض بدراسة العريش كمدينة . وذلك بالتجول فيها عدة مرات وملاحظة تقسيمها الى أحياء ، يسكن كل حى قبيلة خاصة . اذ لايزال أهل العريش مقسمين الى قبائل ، وتوزيع الاسواق ، وملاحظة موقع المدينة القديمة وانتقال مركزها التجارى وتوسعها وعلاقة ذلك بالجيش وانشاء السكك الحديدية وقد أخذنا عدة صور لاجزاء مختلفة من المدينة من فوق احدى المآذن ، ثم صور للشوارع وصور لبيوتها ذات الطابع المعمارى الخاص .

و ـ دراسة نشاط أهل العريش الاقتصادى وعلاقة ذلك بموقعها الجغرافى . وعلاقة العريش بفلسطين قبل الغزو الصهيونى وبعده .

هذه هى الخطوط الرئيسية للبحث الاجتماعى الذى قمت به ، ولاتزال المقاييس الانتربولوجية لدى تحتاج لوقت لحساب النسب المختلفة ولتحليلها

توطئة للوصول الى نتائج انتربولوجية أصيلة ، ونرجو أن تسنح الفرصة قريبا لكتابة هذا البحث .

توصيات :

١ ــ أرى أن يقوم قسم الجغرافيا بشراء مجموعة الصور التى أخذت فى الرحلة ؛ وهى صور للظواهر الطبيعية لشمال شرقى سينا ؛ وقد احتفظ بأصولها معهد فؤاد الاول للصحراء ، وهو مستعد لبيعها لمن يريد . وهذه الصور توضح ظاهرات جيومورفولوجية لهذا الاقليم . وهى ذات فائدة كبرى كوسيلة للايضاح فى محاضرات الجيومورفولوجيا ومحاضرات مصر الطبيعية والاقتصادية .

٢ ــ أرى أن يستكمل قسم الجغرافيا وسائل البحث الانتروبولوجى بشراء الآلات والمقاييس الانتروبولوجية وخصوصا :

(١) لوحات قياس لون البشرة والعين والشعر Raasenkundliche Bestimungs Taften

(٢) مقياس طول القامة ، وآلة معدنية لقياس الانف ، ومقياس فلير لقياس الرأس .

٣ ــ مما يؤسف له أن مصر ــ بالرغم من عراقتها التاريخية ووفرة الابحاث التاريخية والجغرافية عنها ، تكاد تكون مجهولة علميا من الناحية الانتروبولوجية ، فليس عندنا مساحة انتروبولوجية كاملة عنها ، وليست لدى العلماء أرقام عن مقاييس انتروبولوجية لاى جزء من مصر ، اللهم سوى مديرية الشرقية التى قدم عنها الدكتور عمار رسالته العلمية الى جامعة مانشستر ؛ فهذا اذن مجال بحث جديد يصح أن يفتح أمام طلبة الدراسات العليا وأقترح أن تمد جامعة الاسكندرية الباحثين فى هذا الميدان بما يلزمهم من مقاييس وآلات وآلات تصوير ، والاتفاق مع السلطات الخاصة لتسهيل أمر سفرهم وتنقلهم واتصالهم بالاهالى واقناعهم بأخذ مقاييسهم فى الاقاليم المختصة ، وليكن ذلك على أساس اقليمى ، أى مديرية مديرية ،

بترتيب جغرافى ، فهذا عمل علمى جليل اذا استطاعت الجامعة أن تساعد فيه وهو من الاعمال التى لايستطيعها البـاحث بمفرده دون معونة الهيئـات والسلطات الادارية • والوسيلة لذلك هى التوجه الى المستشفيات أو المصانع أو المعاهد التى يزيد أعمار تلاميذها على ٢٠ سنة • ومن الصعب اقنـاع الافراد بقيمة هذا العمل أو أهميته ، الا بتدخل أفراد من جهات معينـة ، مثل طبيب المستشفى أو مدير مصنع أو ناظر مدرسة •

وهذا العمل يحتاج الى مران من جانب الباحث أو الى لبـاقة وصبر ومثابرة فى ميدان العمل ، ثم الى حسابات وتحليل احصائى وقراءة فى مكتبه، وهو من الاعمال العلمية القليلة التى يتصل الباحث فيها بالجمهور مباشرة وتحتاج لمعاونة مالية وأدبية •

٤ ــ أرى أن يشترك قسم الجغرافيا بأكثر من باحث واحد فى رحلات معهد فؤاد الاول للصحراء فى المستقبل وأن يحاول ــ اذا أمكن ــ دعوة الباحثين فى الجغرافيا من الجامعات الاخرى والقائمين بدراسات اقليميـة على الطبيعة لاجزاء مختلفة من مصر ، والخروج بعلم الجغرافيا من نطاق المكتبات أو المعلومات التى تصل الينا بالواسطة ، الى حيز الحقل والوصول الى المعلومات مباشرة • فمثل هذه المعلومات ــ حتى اذا كانت قليلة ــ أفضل بكثير من معلومات كثيرة تصل الى الباحث فى صفحات كتاب •

وهذه هى الوسيلة الوحيدة التى تحتل بها الجغرافيا مكانها بين العلوم فى مصر • والتى نستطيع بها أن نخدم البحث الجغرافى ونقدم للعالم صورة حية جديدة لبيئاتنا الطبيعية والاجتماعية •